

مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرين العدد الأول، ص189-ص214 يناير 2012

ISSN 1726-6807 <http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/>

قراءة نقدية في قصيدة "المسلمون" للشاعر محمود حسن إسماعيل

د. عبد الرحيم محمد الهبيل

مشرف أكاديمي بجامعة القدس المفتوحة

[Ahabil@qou.edu](mailto:Ahabil@qou.edu)

**ملخص:** تتناول هذا البحث قصيدة (المسلمون) للشاعر محمود حسن إسماعيل بالدراسة ثم التحليل؛

للقوف على جمالياتها وأبعادها الفكرية.

ومن أهداف هذا البحث أيضا: التعرف على أثر الطبيعة والقرية في تشكيل الصورة والرمز.

كما هدف البحث: إلى توجيه عناية الباحثين إلى دراسة أشعاره؛ فقد ظل الشاعر بعيدا عن

أضواء النقد على الرغم من تميزه وأثره في حركة الإبداع.

## A Critical Reading of "al-Muslimūn" Poem by Maḥmoud Ḥassan Ismail

**Abstract:** The paper analysed the poem "al-muslimūn" by Maḥmoud Ḥassan Ismail. It also welled on the aesthetic and intellectual aspects of the poem.

The paper aimed to identify the effect of nature and village on forming its image and symbol. The paper invited researchers, attention to study the poems of Ismail since he remained away from the glare of criticism in spite of his being distinctive and creative and has his own impact on the Creative Movement.

\* تمهيد : شاعر القصيدة:

هو الشاعر محمود حسن إسماعيل مصري الجنسية، ولد في الثاني من يوليو عام 1910، عاش في قرية النخيلة بمركز أبو تيج في محافظه أسيوط، حصل على البكالوريا عام 1932م، تخرج في كلية دار العلوم عام 1936، أثرى الحركة الأدبية والشعرية بأعمال شعرية جمعت بين الأصالة والحداثة، وتساوقت مع المفاهيم الجمالية للاتجاهات الأدبية في القرن العشرين، توالى دواوينه وتعددت فكانت حوالي أربعة عشر ديوانا، جمعت في ثلاث مجلدات، كما له أعمال أدبية أخرى لم تنشر في تلك المجلدات. حصل علي جوائز عدة منها: وسام الجمهورية من الطبقة الثانية في عام 1963، توفي بتاريخ 1977/4/25 مغتربا عن وطنه ولكن دفن جثمانه في أرض الكنانة. (1)

(1) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل المجلد 1-3 الهيئة المصرية العامة للكتاب 2004 مصطفى السعدني ، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل 17-18، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ت) أحمد العلوانة ، ذيل الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

## د. عبد الرحيم الهبيل

لخص الشاعر حياته وهو يتحدث عن نشأته فقال: "عشت في قرينتنا السنوات الأولى، ولم أكن في معظم الوقت مع أهلي بل كنت أعيش في الغيطبكوخ (الخص) على مشارف نهر النيل جنوب أوتيج أشارك في العمل، أعزق الأرض، وأبذر الحب، أتابع البذرة منذ غرسها حتى الحصاد وتعلمت في الكوخ ودرست فيه وتقدمت إلى امتحان شهادة البكالوريا من الخارج، وحصلت عليها ثم رحلت إلى القاهرة لأدخل دار العلوم".<sup>(1)</sup>

قال عنه الدكتور جابر قميحة: "من أشعر شعراء العربية وأشهرهم، وأغزرهم إنتاجاً على مدى قرابة نصف قرن، ابتداء من الثلاثينيات" <sup>(2)</sup> أما أحمد علاونه فقد قال عنه إنه: "شاعر فحل، مصري نبغ في الشعر نبوغاً مبكراً، حفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، واتجه في دراسته وجهة عربية إسلامية"<sup>(3)</sup>. وعن عناوين دواوينه الشعرية قال قميحة إنها: "تعكس إشعاعات من الخيال الوحشي الغريب، والإشارات الصوفية، كالذي نراه في عناوين قصائده مثل: أحزان الغروب".<sup>(4)</sup>

أما عن تجربته الشعرية فقد قال فاروق شوشة: "يدهشنا في شعر محمود حسن إسماعيل تلك الرؤية الكلية للإنسان والحياة، إن التجارب الشعرية عنده تستمد قيمتها وغناها من ذلك الإطار الأكبر الذي نطالعها فيه، فيبدو الجزء في إطار الكل...، هو شاعر التجارب الكبرى، شاعر الرؤى الكونية الشمولية، شاعر ما وراء الجزئي والمنعزل والمنظور".<sup>(5)</sup>

وبعد، فلماذا ترك النقاد شعره؟ هل لبعد الشاعر عن أنوار السلطان على الرغم من أنه مدح الملك فاروق في بداية الأمر؟ أم لأنه عاش في الكوخ وقلوب الفقراء والبائسين؟ أم لأنه راح ينادى بعيداً عن جسد المرأة؟ أم لأنه وقف شامخاً فوق قيود الاتجاهات الأدبية؟ أم لنزعه الصوفية وتداخل صورته وتعدد معانيه؟ أم لبساطة نشأته الريفية التي كانت تحتم عليه أن يغرس نفسه في

---

والمستشرقين 206، الطبعة الأولى 1998م، دار المنارة. محمد المصطفى، من أطلال الكوخ، موقع مجلة أفق الثقافية 2006م.

<sup>1</sup> (مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل 17. وانظر: محمد المصطفى، من أطلال الكوخ، مجلة أفق الثقافية 2006م.

<sup>2</sup> (محمود حسن إسماعيل وقفة نقدية مع شعره وفلسطينياته، موقع رابطة أدباء الشام. أو موقع إخوان أون لاين 2006

<sup>3</sup> (ذيل الأعلام 206.

<sup>4</sup> (محمود حسن إسماعيل وقفة نقدية مع شعره وفلسطينياته، موقع رابطة أدباء الشام.

<sup>5</sup> (أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي 267-268، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية 1979م.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

الطين؛ ليحصد أجمل الثمار لغيره؟ أم أن كثرة أعماله الأدبية والإذاعية أضعفت قوى الدارسين؟ أم لصخب الإيقاع في شعره وإلحاحه على الثورة والتغيير؟ أم لجموح خياله وصهوة جواد فكره؟

• الطبيعة والتصوف<sup>(1)</sup>:

لم يغادر الشاعر محمود حسن إسماعيل قريته (النخيلة)، وأخلاقها القويمة، إلا بجسده الذي يميل إلى سمرة أرضه الخصبة، فقد ظل ملتصقا بحب الوطن والناس والدين، ولم تجرفه المدن ببريقها الزائف، كما لم يكن يوما عن دينه عازف، بل جعل من نفسه قيثارة تعزف شعرا متنوع الألحان، ومن روحه قصيدة تعبر عن واقع الأمة الإسلامية المرير، وما تكابده من مشقة وذل وهوان.

انطلق الشاعر في أجواء الإبداع بفلسفة يلتقي فيها أواخر شعره بأوائله، فلامح شعره لا تتغير، لكنها تنمو وتتطور،<sup>(2)</sup>؛ لتغدو أشعاره أغاريد طير أو روافد نهر ناعس في المغيب، والناس حوله يهيمنون في أفقه الرحيب، أو لحن بكاء شريد على أمة تاهت منذ زمن بعيد، على الرغم من عظمة الأمة الإسلامية التي ظلت تتألق في نفس الشاعر، وتترعرع بالإيمان وحب الله صانع الكون وواهب الحياة.

استطاع الشاعر في قصائد عدة أن يوظف الطبيعة لخدمة قضايا الإنسانية، لكن الطبيعة لم تبقى في قصيدة (المسلمون)<sup>(3)</sup> أو (التائهون)<sup>(4)</sup> ترفل بأشجار وارفة الظلال، أو تنعم بحدائق

<sup>1</sup> أفصد بالتصوف "استبطان منظم لتجربة روحية، ووجهة نظر خاصة، تحدد موقف الإنسان من الوجود، ومن نفسه، ومن العالم" محمد مصطفى هدارة، النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الرابع، يوليو 1981م .

<sup>2</sup> انظر: شفيق السيد، شاعرية محمود حسن إسماعيل 109، علامات في النقد الأدبي، نادي جدة الأدبي الثقافي، جدة، مارس 1993م.

<sup>3</sup> كتبت قصيدة "المسلمون" في عام 1948 بعد نكبة فلسطين وتشرذم أهلها، وتفشي الفساد في أركان العقل العربي الحاكم، وقهر المجتمعات العربية والإسلامية، وبخاصة في مصر على يد الاحتلال البريطاني والملك فاروق وأعوانه، وعلى الرغم من إسقاط القصيدة من ديوان الشاعر فإن تداولها قد كثر في عام 2003م في المواقع الالكترونية والكتب والدوريات، وفي بعض الدراسات الحديثة، حين افتقر العامة والخاصة لكلمات صادقة تصور آلام المسلمين وواقعهم المذل بعد سقوط العراق وتكريس ألوان العذاب للفلسطينيين والعراقيين. انظر: مجلة المسلمون، العدد الأول عام 1951م. مجلة الأزهر، العدد الثاني، السنة 76، إبريل 2003م، أحمد الجدد، أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر 163/1، دار الضياء، عمان، الطبعة الأولى 2003م.

<sup>4</sup> على الرغم من شهرة القصيدة باسم "المسلمون" فإن بعض النقاد والدارسين قد جعلها بعنوان "التائهون" فهل يرجع ذلك الأمر؛ لعدم توثيق القصيدة وكتابتها في ديوان الشاعر؟ أم إلى شيوعها وكثرة تداولها على ألسنة

#### د. عبد الرحيم الهبيل

ارتوت بأنوار الجمال، بل اكتست بمعاناة الشاعر الذي توحد مع المسلمين التائهين، فالطبيعة في القصيدة مكفهرة سوداوية ترمز لواقع المسلمين السوداوي، بعد أن أطبق علي المسلمين النذل والظلي والألم كما يطبق الليل على ساكنيه، فقال:

من هؤلاء التائهون... الخابطون على التخوم؟  
أعشى خطأ أبصارهم رهج الزوابع والغيوم..  
والليل ينفض فوقهم... من يأسه قلق النجوم  
ويسوقهم زمراً إلى حفر مولودة الرجوم  
والسوط يرقل حولها... والموت أنسرته تحوم  
والقيد يخصف من صدورهم المذلة والهموم  
ويسومهم من عسفه وظاه أشع ما يسوم

وإذا غفا المسلمون بقيودهم وعذاباتهم فإنهم يغفون على مواطن كل جبار غشوم، وإذا صحوا فعلى خطأ للذل خاشعة الرسوم، فالمسلمون لا يقدرّون إلا على استراق بعض الغفوات، أما النوم فقد فارقهم، ليس لأنهم عباد في الليل؛ ولكن لكثرة ما يسومهم الحكام ألوان العذاب، فالسياط من فوقهم موت يحوم، والقيد يكبلهم بالنذل والهموم.

لقد بدت الطبيعة مأساوية، تحكي مأساة المسلمين، وعذاباتهم؛ لتطور العلاقة بينها وبين الشاعر "حيث ذابت الحدود، وتلاشت المسافات، وتم نوع من الامتزاج والوحدة بينهما، ولم يعد هناك إلا ذات واحدة، وصوت واحد" (1) فبدت الطبيعة سوداوية تعج بالزوابع والغيوم، بل إن سوادها لا يخامر ضياء إلا من قلق نجوم أو بعض رجوم تراود الشاعر وظنونه، حيث قال:

والليل ينفض فوقهم من قلقه يأس النجوم

ثم قال:

أبدا... تكذبني، وترجمني الحقائق والظنون!

أما دلالات ذلك النور الخافت المتباعد المتقطع فهي كثيرة، أهمها:

- أن نور الهداية مصدره الله لكن نوره لا يهدى لعاصي.

---

الناس؟ أم لأمر سياسي يفسره التوجس من أصحاب السلطان؟ أم لعامل فني بحت؟ فيعد متابعة أعمال الشاعر نجد أنه يلجأ إلى لفظ التائه والتائهين أكثر من لجوئه إلى لفظ مسلم ومسلمين على مستوى العناوين سواء أكان للقصائد أم الدواوين. انظر: صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي 94-96، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى 1985م.

(1) شفيع السيد، شاعرية محمود حسن إسماعيل 113.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

- ضعف قوى المسلمين في خضم هذا الطغيان .
- أن هناك أمل في صحوة المسلمين لكن لن تكون إلا بالرجوع إلى الله .
- أن كلمة (ترجمني) لا تنحصر في مجال الإضاءة الخاطفة لكل من يحاول استراق سمع المستقبل؛ لأنها تستدعي أيضا الخطيئة التي تستأهل الرجم ، فكأن الشاعر لذلك أشار إلى أخطر الذنوب التي تصيب المجتمعات، فتجعلها ذليلة تصرخ في المجازر .
- أن الرؤيا في الشعر حالة من حالات الكشف والتجلي، والحدس المعرفي .
- حال الشعوب الإسلامية والعربية يرثى له ،لضعفها فهي لا تقدر على شيء ، بل جاهلة:

مبهورة...منهورة...بالسوط، تجهل ما يكون  
بلهاء،روّعها الصدى واجتاح قينتها الجنون  
وأحالتها عدماً يُكبر للردى...لو تسمعون!

وإذا كان الشاعر لا يفارق الطبيعة - بل يتوحد معها وبذيب الحدود ، فإنه لا يميز بين ذاته والمسلمين أيضا ، بل يوحد بالمجتمع المسلم،بتأثير فكرة الاتحاد عند الصوفية، حيث تصبح الذوات أكثر تداخلا وأكثر قربا ،(1) - فان روحه تستفيق "من ذهولها المطبق فتعبر عن وجودها بضمير المتكلم"(2)وتجار بالأنين، وتعترف بالخطايا؛ لأنه أراد أن يكون لسانا لأمته، و مثالا لشخصية المسلم ، فعمق بذلك شقاء الأمة وبؤسها؛ لأن نقاء الشاعر وتميزه ما عاد قائما في هذا العصر، بل انه يرزح تحت ذات خطايا المجتمع، فقال:

أنا منهم... لكنني نغمّ بساحتهم شريد  
ربّضت به الأصفاد بل طحنته غمغمة العبيد  
وجوّارُ شرق مبدىءٍ بأتين أمتِه مُعيد

وحينما وصل الشاعر إلى نهاية القصيدة اعتمد على بيئته الأولى، تلك القرية التي لم تفارق أخیلته، في رسم صور الخلاص، حتى كأنها موسم الحصاد بكل ما فيه من فرح ونشوة وسرور وقوة ، وقد تجلى ذلك في مفرداته: ( المعول، الشبع والزاد، ذهب الرقاد، الحصاد، حد المناجل، والأذرع الشداد ) .

<sup>1</sup> ( انظر: عبد الله حسن زروق ،أصول التصوف 77 ، دار جامعة أم درمان الإسلامية للنشر، الخرطوم،1993م.

<sup>2</sup> ( شفيع السيد،شاعرية محمود حسن إسماعيل 171 .

د. عبد الرحيم الهبيل

\*الواقع والمثالية :

جمع الشاعر بين واقع المسلمين المرير وعالمهم المنشود المثالي الذي كان حقيقة في القرون الأولى للإسلام ، حين قال:

من هؤلاء الضائعون؟... أفهؤلاء المسلمون؟!  
أبدا... تكذبني، وترجمني الحقائق والظنون!  
أبدا... وكيف؟ وفي يمينهم كتاب لا يهون؟!  
أبدا... وكيف؟... ودون سطوته وتنتحر القرون؟!  
ويبيد طغيان العتاة، ويهلك المتجبرون؟!  
ويخرّب بين يديه من وهج الضياء الغاشمون؟

فالشاعر قارن بين الصور المثالية التي عاشها المسلمون في الماضي المشرق ، و حياة المسلمين في هذا الزمن؛ ليعمق المأساة، ويستنهض الهمم؛ لمواجهة العتاة الفاسقين الطاغين الباغين الغاوين فقال:

من كان للإسلام، فليضرب بمعوّله الفساد  
فيصيحُ باللصّ العتيّ : كفاك من شبع وزاد  
ويصيحُ بالفاسق : إيّاكم وأعراض العباد  
ويصيحُ بالطّاعين : أسرفتم، لكلّ مدى نفاذ  
ويصيحُ بالباغين : ويحكم، لقد ذهب الرقاد  
ويصيحُ بالغاوين : ويلكم، إذا حان الحصاد

هذا المنزع الديني الروحي الذي يتكئ على المتباينات؛ جعل تجربته الشعرية أكثر عمقا وتأثيرا وارتباطا بعالمي الواقع والمثالية؛ لأن الاتجاه الديني لدى الشاعر " ليس إلا مظهرا من مظاهر تجربة شعرية أوسع وأشمل ، هي تجربته التأملية التي يجوب فيها بعقله ووجدانه عالم النفس والكون من حوله محاولا استبطان أسرارها ، واستجلاء ما يكمن في حناياها من حقائق"<sup>(1)</sup> كما أن المشاركة الوجدانية التي يكنها " للضعف والإخفاق المتواجدين في شخصية الإنسان لم تمنعه من تلمس مصادر القوة الإنسانية"<sup>(2)</sup> بل انه اتخذ من الماضي المشرق للمسلمين سبيلا لمعالجة واقعهم المظلم .

<sup>1</sup> ( شفيع السيد،شاعرية محمود حسن إسماعيل 179 .

<sup>2</sup> ( س.م.بوراء، التجربة الخلافة 53، ترجمة سلافة حجاوي،فلسطين، الطبعة الثالثة 2000م.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

لم تكن المثالية في شعره أفلاطونية؛ لأن ما كان ينشده كان واقعياً، فالعالم المشرق عاشه المسلمون حقيقة واقعية في الماضي ، لذا نلمس مزيداً من التوحد في شعره بتوحد الأزمنة المتناقضة فالماضي كان مشرقاً والحاضر معتماً والمستقبل ثائراً، التي تعمل على تقاوم المأساة في نفسه حتى يحار بكأؤه، بقوله :

أبكي عليهم ... أم على قيد يكبّني شديد؟!

الشاعر عاش مع المسلمين وحيّ فيهم بفكره وروحه متأملاً حالهم بوعي ثقافي متميز، وخيال خصب نشط، فأقام فيهم على الرغم من كل القيود هادياً ومرشداً لهم دون أن يسقط في أسر التقريرية؛ لفيض عواطفه ودقة ألفاظه وتميز تراكيبه وصوره، وشيوع موسيقاه في كل لفظة من ألفاظ النص.

وفي المقطع الأخير ترجّى الشاعر أن يسترد المسلم حقوقه بقدم منقذ يخلص المسلمين من الطغاة العتاة، وأن ينال المجرمون عقابهم، بل توعد في ذلك المقطع المجرمين بعقاب من جنس أفعالهم، ثقةً منه بمستقبل مشرق، فعبر عن عقابهم بالفعل الماضي للدلالة على تحقق العقاب، حيث قال:

وطواكمُ حدُّ المناجلِ : بين أذرعِهِ الشَّدادُ  
ونظرتُمُ ... فإذا الظلامُ عليكمُ حنقُ السَّوادِ  
ريحٌ مصرصرة الزبيرِ كأختها في يومِ 'عاد'  
تَسقيكمُ من ويله وخرابها حُممَ الرِّشادِ

و في هذا المقطع يكاد يختلط الفرد بالجماعة، على لغة الشاعر في التوحد، فالذي يتنزل بهم العقاب جماعة وليس فرداً كما يبدو في النص كاشفاً بذلك عن مدى تفشي الفساد بين أذرع الطغاة، أما المنقذ فيكاد يكون فرداً لكن ليس شخصاً بعينه، رغبة منه في التعميم ، فكل مسلم غيور على شرف أمته من الممكن أن يكون قائداً يجتث الفساد، و في هذا دعوة للمسلمين بالاتحاد؛ ليكونوا كالجسد الواحد. فلا خلاص من هذا الواقع المظلم إلا بالوحدة والقوة .

وفي تلك الآمال لم يكن الشاعر حالماً أو غير واقعي؛ لأن الإسلام إذا استيقظ في نفوس المسلمين فانه " يبيد طغيان العتاة، ويهلك المتجبرون"، وقد استطاع المسلمون في القرون الأولى أن يغيروا بالإسلام واقعهم الذليل، و ما كان حالهم اليوم ليكون إلا لابتعادهم عن الدين وتعلقهم بزييف الدنيا، وأعداء الإسلام، فقد قال الشاعر:

إنا هجرنا الله ... هَجَرْتَنَا لِشَيْطَانٍ مَرِيدٍ  
عَاتٍ تَرَوُّضُنَا حَضَارَتَهُ لِكُلِّ هَوَى مُبِيدٍ

د. عبد الرحيم الهبيل

ولكل من يحيي لنا الإسلام في كفنٍ جديدٍ  
نسجته أخیلة العصورِ السُّودِ مُذْ زمنٍ بعيدٍ  
لتُحِيلَ دينَ 'محمدٍ' وهماً على نعشٍ مجيدٍ

الجماعة عادة تبكي الفرد إذا مات، أو ضاع لكن الشاعر على خلاف هذه العادة حيث يبكي (الشاعر الفرد) التائهين (الجماعة) في مكان بعيد. وهناك نجد الإدراك عند الشاعر هو بالدرجة الأولى إدراك للذات، وهو إدراك متميز يدفع للحراك والتجاوز وبخاصة بعدما أهاج القارئ بصور بصرية تؤلم من يتأمل حال المسلمين.

\* هيكل القصيدة :

لا يقل دور الشكل في القصيدة عن مضمونها في شيء بل هو "أصعب منالاً"<sup>(1)</sup>؛ لأن هيكل القصيدة أو طريقة بنائها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمضمون ، ويحتاج إلى جهد وثقافة ومعاينة . ولقد عرف الشعر العربي المعاصر ألواناً من البناء والأشكال المختلفة، لكن ظلت وحدة العاطفة وتطورها في اتجاه واحد سمة لا تفارق البنية الداخلية للقصيدة المعاصرة، أما الصورة الخارجية لهيكل القصيدة المعاصرة فقد تعددت وتباينت بحسب مضامينها،<sup>(2)</sup> فالتلاحم بين الشكل والمضمون سمة من سماتها البارزة.

وفي قصيدة (المسلمون) تمثل البعد الداخلي في الشعور بالألم والظلم والهلاك وكلها مشاعر حزينة متجانسة، رسمت صورة لواقع حفز على الثورة والتغيير.

أما الصورة الخارجية فتمثلت في مقاطع القصيدة، حيث تكونت من أربعة مقاطع أساسية، المقطع الأول: رسم عذابات المسلمين ليلاً، و المقطع الثاني بين عذاباتهم نهاراً، أما في المقطع الثالث: فكشف أسباب تلك العذابات. وقد تآزرت تلك المقاطع الثلاثة في تصوير الواقع المزري للمسلمين، فهي من حقول دلالية متقاربة، ومتداخلة، كشفت مرارة المسلمين وواقعهم، فهم تائهون، هالكون، وخانعون لطغيان الحكام واستبدادهم، فالصور كلها تعبر عن عجز وضياع :  
الخابطون، زُمراً إلى حفرٍ، يَخْصِفُ، و يسومُهُم، وترجُمُنِي، وَيَبِيدُ، طَغِيانَ، وَيَهْلِكُ المتجبرون؟!، يخرُّ، يصرخون، الأصفادُ، العبيدُ، جُورًا، أبكي، و الشيطانِ عاتٍ .

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية 238 ، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

<sup>2</sup> انظر : المرجع نفسه 251-252

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

أما المقطع الرابع: فقد بين فيه الشاعر سبيل الحرية والحياة الكريمة، فكان اشراقاً أمل في جسد أعياء الأمل.

وللزمّن دور واضح في بناء القصيدة، ففي المقطع الأول: لم يغادر ليل المسلمين و المقطع الثاني يركز على نهار الذل، فالشاعر حرص في المقطع الأول والثاني على تثبيت الزمن للدلالة على استمرارية تلك العذابات على مدار الساعة وديمومتها، ولم يتمكن من تجاوز رتابة الزمن في المقطعين الأول والثاني إلا من خلال العبارات الاستفهامية المكررة في نهاية كل مقطع:

من هؤلاء الضائعون؟... أفهؤلاء المسلمون؟!

أبدا... تكذّبني، وترجمني الحقائق والظنون!

أما المقطع الثالث: فامتد فيه الزمن إلى الماضي متلاحماً مع الحاضر:

نسجته أخیلة العصور السود مذ زمن بعيد

لتحيل دين محمد وهما على نعش مجيد

أما في المقطع الرابع: فتلاحمت ثلاثية الزمن (الماضي، الحاضر، لمستقبل) مع عناصر الطبيعة والبيئة القروية بيئة الشاعر الأولى، تعبيراً عن نهاية القصيدة .

ومن الواضح أن الشاعر في المقاطع الأربعة اعتمد على الهيكل الهرمي في بناء القصيدة حيث "استند إلى الحركة والزمن".<sup>(1)</sup> فالأزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل) في القصيدة تتداخل، والأشخاص تتقلب عليهم الأحداث فينتقلون من حال إلى حال؛ من الخنوع إلى الرفض ومن ثم إلى المواجهة، ويزداد تكثيف الشاعر لجوهر النص في المقطع الأخير فجاء مشحوناً بكل دلالات النشوة والأمل والثورة على الواقع، وبخاصة أن الشاعر منح الأشياء بعدها الرابع؛ فخرجت من السكون إلى الحركة بل إلى ما يستثير الوجدان الديني، ويهزه من الأعماق.<sup>(2)</sup> وذلك مما ميز القصيدة وجعلها من قصائد الفعل أو الحادثة،<sup>(3)</sup> ولعل استدعاء هذا النص في أحداث عام 2003م -على مستوى الوطن العربي وبخاصة بعد أحداث فلسطين والعراق - قد جعل منه استعارة تصريحية أو مثلاً من الأمثال العربية.

<sup>1</sup> نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر 241 .

<sup>2</sup> انظر : المرجع نفسه 246-247.

<sup>3</sup> انظر : المرجع نفسه 247.

د. عبد الرحيم الهبيل

### \*التكرار والإيقاع:

قد يكون التكرار تلوينا مجردا من الجمال ، أو عيبا يتعثر على أعتاب الانسياب الشعوري ، حيث لا يمنح القصيدة بعدا جماليا إلا إذا ارتبط ارتباطا وثيقا ببنائها العام ، أو السياق الجمالي للنص ، وبأغوار نفس الشاعر<sup>(1)</sup>، ووظفه لإثراء المعنى، كما في قصيدة الشاعر حيث جاء التكرار في القصيدة بدوافع شعورية وغير شعورية<sup>(2)</sup>، لذا وجدناه يكرر الحرف والكلمة والجملة والأبيات؛ بقصد محاكاة هموم المجتمعات الإسلامية، وتجسيدها لأحوالهم التي تتشابه في الضياع والتشرد والعذاب على الرغم من اختلاف الأمكنة .

وإذا كان تكرار الحرف أبسط أنواع التكرار في القصيدة ، فقد لجأ إليه الشاعر؛ لتعزيز الإيقاع<sup>(3)</sup>؛ وإيضاءة أعماقه، فظهرت بعض المعاني التي تسيطر على المجتمعات المسلمة، حيث أكثر من تكرار أحرف ( الميم، والنون، الواو، والدال )؛ بقصد محاكاة لفظة (نوم) الشعوب، (وندم) على ما قدمت أيديها، و(دمن) في أيدي الظالمين، أما إذا ثارت الشعوب فهي ( منددة)، وكلمة مندد بارزة في قافية المقاطع فالميم قافية المقطع الأول، والنون قافية المقطع الثاني، والدال قافية للمقطع الثالث والرابع، فالشاعر جسد هذه اللفظة (مندد) صوتيا من خلال تنوع القافية.

أما تكرار اللفظة فقد بدا ضئيلا لتعدد المشاهد المؤلمة التي عصفت بالمسلمين، فكل لفظة حملت بين طياتها معنى جديدا يعبر عن تنوع أصناف العذاب. لكن الشاعر ظل محافظا على الإيقاع الصائب في القصيدة من خلال الانتكاء على الجنس (مبهورة، منهورة، الرجوم والرسوم) والاشتقاق اللغوي بمعناه الواسع حيث ساعده الاشتقاق على تعميق إيقاع القصيدة وبيان أصناف العذاب:

الفاقدون، المفسدون، الفساد ، المسلمون، الإسلام .

وكذلك من خلال تكرار وزن الكلمات في مختلف مقاطع النص:

الضائعون، الفاسدون، الشاربون، السائقون، الخانعون، الهالكون، الصاغرون، التائبون، الراكعون، العابدون، الساجدون.

<sup>1</sup> ( انظر: عمران خضير حميد الكبيسي ، لغة الشعر العراقي المعاصر 143، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى 1982م . ونازك الملايكة ، قضايا الشعر المعاصر 266 - 284، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة 1983م.

<sup>2</sup> ( انظر: نازك الملايكة ، قضايا الشعر المعاصر 276 - 277 .

<sup>3</sup> ( انظر: عمران خضير حميد الكبيسي ، لغة الشعر العراقي المعاصر 144.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

وقد عبر عن هذا التكرار بصيغة خبرية توحى بالتصاق تلك السمات بالمسلمين على الرغم من تناقضها، فواقع المسلمين أنهم (الضائعون، الفاسدون، الشاربون، السائقون، الخانعون، الهالكون، الصاغرون) ومستقبلهم بعد الثورة على الواقع المرير جعلهم (التائبون، الراكعون، العابدون، الساجدون). فالتناقض يزول باعتبار الزمن والممارسة .

أما الألفاظ المكررة حقيقة فكانت قليلة تكتسب جمالها من خلال علاقاتها المتجددة ، وذلك مثل كلمتي (السوط، مولولة) فقد قال: السوط يرفل حولها. ثم قال: بالسوط تجهل ما يكون. فكلمة السوط في التركيب الأول أبرزت رهافة عيش الظالمين وكثرتهم، وشدة عذاباتهم للمسلمين، أما في التركيب الثاني فقد كشفت آثار السياط على المسلمين.

وحين قال: إلى حفر مولولة الرجوم. ثم قال: ريح مولولة الصفير. أبرز سرعة الحركة وطغيان الحسرة ومزج الثقل النفسي بالأصوات الناعبة .

أما تكرار الفعل ( يصيح) خمس مرات في المقطع الأخير في قوله :

فِيصِيحُ بِاللِّصِّ الْعَتِيِّ : كِفَاكٌ مِنْ شَبِيحٍ وَزَادُ

وَيَصِيحُ بِالْفَاسِقِ : إِيَّاكُمْ وَأَعْرَاضَ الْعِبَادِ

وَيَصِيحُ بِالطَّاعِينَ: أَسْرَفْتُمْ، لِكُلِّ مَدَى نَفَادِ

وَيَصِيحُ بِالْبَاطِلِينَ: وَيَحْكُمُ، لَقَدْ نَهَبَ الرُّقَادُ

وَيَصِيحُ بِالْغَاوِينَ: وَيَلْكُمُ، إِذَا حَانَ الْحَصَادُ

فيكاد يكون ضرورة لا بد منها؛ للدلالة على صعوبة عملية التغيير، وتناسبا مع الظلمة الحالكة التي يتخبط بها المسلمون، فالصوت يناسب الظلام، ومن هناك فإن التكرار يدل على مدى مجاهدة الخضوع الذي يجياه المسلمون، كما أن التكرار جاء في سياق ثورة عاطفية متأججة يصيح فيها الثائر ومعه كل الثوار، لذلك كان التكرار موازيا للعالم الإسلامي الذي أصابه التفكك والضعف، ومصورا لضرورة التوحد والوحدة، ومجسدا لتكرار هتاف الثائرين، ومن زاوية أخرى نجد أن الفعل ( يصيح) جاء مسبقا بحرف العطف (الواو) الذي يشعر بكثرة الصائحين الثائرين و تزامن أفعالهم وأقوالهم ، فالإكثار من الجمل التي تبدأ بالواو أو المصدرة بالواو يشي بالتدفق العاطفي، وثورة الشعوب لا يحكمها منطق، بل تغلب عليها العواطف؛ لذلك كان التكرار ضروريا من أجل تقريب الصورة التي تجمل الأحداث، و تصل ما هو ظاهر بما هو مضمّر، وترسم طريق الحل بروح جماعية .

#### د . عبد الرحيم الهبيل

ومن مظاهر التكرار في القصيدة تكرار البنية أو تكرار التقسيم كما تقول عنه نازك الملائكة والذي يتمثل في بروز "عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة"<sup>(1)</sup> فقد عمد الشاعر في نهاية كل مقطع من هذه القصيدة إلى تكرار العبارة التالية التي يغلب عليها الاستفهام الإنكاري:

من هؤلاء الضائعون؟.. أفهؤلاء المسلمون؟!

أبدا... تكذِّبني، وترجمني الحقائق والظنون!

ثمة وظائف لذلك التكرار، أولها : التأكيد على قبح الحالة التي يمر بها المسلمون، بعدما سلبهم الطغاة كل أسباب العزة والرفعة، وقوله (أفهؤلاء المسلمون؟!) أتت تكريسا للصورة المثلى التي يجب أن يكون عليها المسلمون. وثانيها: أن يكون بمثابة النقطة أو الوقفة الصارمة التي تشعر القارئ بانتهاء مقطع وابتداء آخر جديد،<sup>(2)</sup> وإذا كان ذلك النوع من التكرار مملا في بعض الأحيان، أو غير مجد فنيا، فإن شاعرنا قد نجح في أن يفض الرتابة عن ذلك التكرار حين أكسبه بعدا جماليا واضحا من خلال التعبير الطفيف على العبارة المكررة ،<sup>(3)</sup> ففي المرة الثانية جعل العبارة:

من هؤلاء الخانعون؟ أفهؤلاء المسلمون؟!

أبدا!! تكذِّبني، وترجمني الحقائق والظنون ..

وفي المرة الثالثة جعل العبارة :

من هؤلاء الهالكون؟ أفهؤلاء المسلمون؟!

أبدا!! تكذِّبني، وترجمني الحقائق والظنون ..

وفي المرة الرابعة جعل العبارة :

من هؤلاء الصَّاعرون؟ أفهؤلاء المسلمون؟!

التائبون، العابدون، الراكعون، الساجدون؟!

فالشاعر نجح من خلال التعبير الطفيف في اللازمة الإيقاعية في تحقيق هزة للقارئ ومفاجئة لشعوره وتفكيره، كما أن التكرار أوجد لازمة إيقاعية تثير إعجاب القارئ وترضي شهوته في تقسيم قصة التائبين إلى مراحل، ففي كل مرحلة تبرز فكرة جديدة تتلاحم في إطار القصيدة العام. فالتائه يضيع في دروب لا يعرفها، فإذا ارتضى ذلك وكان من الخانعين؛ فإنه يهلك

<sup>1</sup> ( نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر 284.

<sup>2</sup> ( انظر: المرجع نفسه 269.

<sup>3</sup> ( انظر: نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر 270.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

لا محالة بل يصبح صاغرا، وإذا كان منشأ التيه من الابتعاد عن الدين كما في النص، فإن الشاعر استطاع أن يربط بين مقاطع القصيدة ، ويعمق ذلك الترابط من خلال التكرار والالتكاء على ما يحدثه من تغيير فيها ، فقد أجمل حالة التائهين الأولى بالضائعين في الظلام ، والمرحلة الثانية فقد حملت معنى الخنوع والاستسلام ، أما الثالثة فكشفت أسباب ضعف المسلمين وهوانهم حيث جعلها في محورين :

الأول: هجران المسلمين لدينهم ، حيث قال:

إنا هجرنا الله ... هَجَرْنَا لِشَيْطَانٍ مَرِيدٍ

الثاني: تكالب الأمم الطاغية على المسلمين ، حيث قال:

عانتِ ترويضنا حضارته لكل هوى مُبِيدٍ

ولكل من يُحيي لنا الإسلامَ في كفنٍ جديدٍ

أما المرحلة الرابعة فقد أجزها في أربع كلمات توازي مراحل الضياع الأربعة وتضع الحل الأمثل لحياة كريمة:

التائبونَ، العابدونَ، الراكعونَ، الساجدونَ!!!

أما قيمة تكرار الاستفهام في سياق القصيدة فنتمثل في الأمور التالية:

الأول: أنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يقيم من خلالها توازنا بين أجزاء القصيدة،<sup>(1)</sup> وبين الواقع والمثالي، كما أن فيها إلحاح " ينيبك بالضيق الذي وصل الذروة عند الشاعر.<sup>(2)</sup> الثاني: الإغراء بالتحدي<sup>(3)</sup>؛ لاستنهاض الهمم واستكشاف المستقبل، فاللازمة كانت تأسيسا للثورة التي حفز الشاعر نحوها" باعتبار كون تلك الأسئلة في زمن الماضي و الحاضر - بل هي كامنة في الزمن المستقبل من حيث اشتمالها (الأسئلة) على معان تدل على حركة حيوية انتظارية، تبحث عن أفعال حركية - لم تحدث بعد، تثير مشاعر التوقع التي تؤثر في رؤى المتعاملين مع هذه الأفعال أو المستقبلين لها<sup>(4)</sup>.

الثالث: الدعوة إلى تأمل واقع المسلمين والتردد في تقبل هذا الواقع المظلم الذي لا يتناسب مع تاريخهم، فالاستفهام يثير جدلا بين الأسباب وسبل الخلاص، وبين الواقع والمثالي، وبين الهالكين في واقع سديم و المنقذين.

<sup>1</sup> (انظر: نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر 276-277.

<sup>2</sup> (أحمد الجذع ،أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر1/167

<sup>3</sup> ( انظر: شفيق السيد،شاعرية محمود حسن إسماعيل 187 .

<sup>4</sup> (حسن البنداري ،البنية الزمنية في شعر محمود حسن إسماعيل ،مجلة فكر وإبداع ،العدد17، يناير2003

## د. عبد الرحيم الهبيل

الرابع: البحث عن المفاهيم والأفعال الغائبة، فالاستفهام بالدرجة الأولى هو دعوة لمشاركة الآخر وإقناعه، فجذلية الحضور والغياب تبرز في ثنايا جدلية الواقع والمثالي، لكن المثالية لا يراد منها أن تكون في آفاق المدينة الفاضلة ولكن بمعنى المفقود الذي رجا الشاعر حضوره ومن هناك نجد أن للغياب قيمة تفوق الحضور، حيث صار الغياب جزءاً جوهرياً في النص وفي تكوين دلالاته وتأثيراته<sup>(1)</sup> لأمرين:

- إن غياب المسلمين في الآلام والأحزان يثير مزيداً من الاندفاع والثورة .
- إن غياب المثالي يحفز نحو المعالجة والتغيير .

لذلك اختصر المثالي المنشود في سطر:

**التائبون، العابدون، الراكعون، الساجدون!!!**

لأن القصيدة بأكملها ومن خلال صور العذاب تستثير الهمم لإيجاد المثالي ، عن طريق الإقناع والمحاورة وتكرار الفكرة حتى تتجسد؛ فنتمكن في النفس وتكون أفعال الناس طوعاً. لقد ظل الشاعر مشغولاً بالبناء الموسيقي لشعره، حتى أصبح التكرار والاختلاف والتضاد الدلالي، والمفاجآت التي يحدثها تتابع المقاطع سراً من أسرار الإيقاع في القصيدة.<sup>(2)</sup> فالشاعر دوماً حرص على تطوير البنية الإيقاعية باستخدام الشكل المقطعي بتنويعاته المتعددة<sup>(3)</sup>، من أجل إقامة التناسق بين طبيعة التجربة الشعورية وطبيعة الإشعاع الإيقاعي،<sup>(4)</sup> فالإيقاع يؤدي وظيفة خاصة في استفاد الطاقة الشعورية، وهو جزء من دلالة التعبير كالدلالة المعنوية اللغوية،<sup>(5)</sup> وإذا كان الشاعر مغرقاً في التكوين الموسيقاً منذ بواكير عمله، فإننا نستمتع معه لألوان من الموسيقى في ديوانه الأخير (نهر الحقيقة) بدأت بموسيقاً من الجن وتنتهي بموسيقاً من الذات في غروب الشمس.<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> ( عبد الله الغدامي ، القصيدة والنص المضاد 98، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الطبعة الأولى 1994م.

<sup>2</sup> ( انظر: تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي 47 دار الحوار، سوريا ، الطبعة الأولى 1983 م .

<sup>3</sup> ( انظر: شفيق السيد،شاعرية محمود حسن إسماعيل 148.

<sup>4</sup> (انظر: سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه 71، دار الشروق، بيروت ، الطبعة الخامسة 1983م.

<sup>5</sup> ( سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه 56.

<sup>6</sup> ( انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل، المجلد الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة

الثانية 2008م.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

### \*التناسب والانسجام :

تألّفت القصيدة من أربعة مقاطع متماثلة في عدد الأسطر واللازمة الإيقاعية، فكل مقطع تكون من اثني عشر سطرا، ويبدو أنه جعل عنوان القصيدة من نصيب المقطع الأول في الحساب العددي للأسطر، وبالنظر للقصيدة وجدنا أن أول مظاهر التناسب قد برزت بين عدد مقاطع القصيدة، ثم نهاية المقطع الرابع (الأخير) حيث أورد فيه أربع كلمات: (التائبون، العابدون، الراكعون، الساجدون) تناسبا مع عدد مقاطع القصيدة، علما بأن الشاعر قد ذكر في نهاية كل لازمة إيقاعية للمقاطع الثلاثة الأولى خمس كلمات تناسبت مع نهاية القصيدة التي أبرزت الصلاة كأحسن صورة للمسلم، أما غياب الكلمة الخامسة من نهاية المقطع الرابع فإنه يتوافق مع منهج الشاعر في الاعتماد على الخفي الغائب، إذ الحذف يفتح مجالا واسعا للبحث عن المحذوف ودلالاته. وإجمالا فقد برع الشاعر في إضفاء التناسب بين موضوع القصيدة ونهايتها.

وقد ازداد التناسب بروزا بين أجزاء النص ونهايته حينما أكد على ضرورة المواجهة مع خمس فئات (العتاة، الفساق، الطاغين، الباغين، والغاوين) حيث إنه ظل يلح على الخماسية الرقمية في القصيدة وبخاصة في نهايات اللازمة الإيقاعية لكل مقطع:

أبدا. تكذّبني، وترجمني الحقائقُ والظنون!

كما برز التناسب في التغييرات الطفيفة التي لجأ إليها الشاعر في اللازمة الإيقاعية حيث إنها تناسبت أيضا مع نهاية القصيدة بكلماتها الأربع؛ مما زاد في تماسك النص وتلاحمه، على النحو التالي:

الضائعون ----- التائبون

الخانعون ----- العابدون

الهالكون ----- الراكعون

الصّاغرون ----- الساجدون

فالضائع في مهالك الردى تلزمه التوبة، والخانع يتوجب أن يكون خنوعه لله، والهالك لا ينفذه إلا الله، والصاغر من لا يسجد لله.

وانتهاء اللازمة الإيقاعية في المقاطع الثلاثة الأولى بحرف النون في كلمة (الظنون) تناسبت مع التائه أو حال المسلمين التائهين، فالتائه والخانع تسيطر عليهما الظنون والهواجس. أما بالنسبة للتناسب بين حروف القافية ومدى انسجامها مع موضوع القصيدة فإنه برز في تطابق صفات الميم والنون والذال فكلها أحرف مجهورة تناسب التنديد وحالة الرفض كما أنها تشكل وفق الأساس التقليبي الكلمات التالية (دمن) و(مندد) و(نمد) و(ندم) بمعنى أن الندم يسيطر على

## د . عبد الرحيم الهبيل

النفوس، وأن الشعوب الإسلامية تمد بعضها بعضا بالقوة، وأن الشاعر يندد بالواقع، وأن الضعيف كالدمنة أو أن الطغاة دمن ضعيفة فلماذا لا تحطم؟

ومن مظاهر التناسب في القصيدة أنها مثلما بدأت بظلام مخيم على المسلمين:

أَعشى خُطأ أبصارهم رَهجُ الزوابع والغيوم ...  
والليل ينفُضُ فوقهم من يأسه قلقَ النجوم

انتهت في المقطع الأخير بظلام على الظالمين:

فإذا الظلامَ عليكم حقيقُ السوادِ

ريحُ مـصرصة الزئير كاختها في يوم 'عاد'

وذلك يؤكد على استمرار السنن الكونية ، فمن يظلم لا يلق إلا الهوان والذل والعقاب كقوم عاد وثمود .

لقد اعتنى الشاعر بالتعبير عن تلاقي الأضداد وتشابهاها في الجوهر " وربط الجزئيات؛ للوصول إلى الكليات من خلال التأمل والاستغراق الطويل فيردها إلى أشكالها الهندسية الأولية"<sup>(1)</sup>، فمرة لجأ إلى الشكل الخماسي، ومرة إلى المثلث بدلالته على القوة، ومرة أخرى إلى المربع بدلالته على السكون، دون أن يقع أسيرا لسكون المربع؛ لأن لوحاته الأربع تعج بحركات متضادة من الظالمين والثائرين، وتداخل الأزمنة ( الماضي والمستقبل مع الحاضر ) الذي يعيد إلى الأذهان تجاذب الواقعية والمثالية في شعره، فيدفع بالنص نحو حركية تزيل السكون والرتابة على نحو واسع؛ لأن الحركة في النص اندفعت في الاتجاهات كافة.<sup>(2)</sup> فالشاعر ظل حريصا طوال القصيدة على أن يظهر الصراع الداخلي والخارجي للمظلومين، وأن يبرز المثالية بأفاقها الرحبية التي ظلت تخالط الواقعية السوداوية .

\*الصورة والرمز :

ظلت الطبيعة ينبوعا ثرا لرسم صور محمود حسن إسماعيل ، يتوحد معها، لكن بنظام يؤكد وجود الصورة على نحو خاص وبدلالات خاصة، حتى غدت صورته هي الشعور والفكر ذاته،<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> محمد عزيز نظمي سالم ، القيم الجمالية 133، دار المعارف، الطبعة الأولى 1984م.

<sup>(2)</sup> انظر: عبد المنعم تليمة ،مقدمة في نظرية الأدب 106 ، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م..

<sup>(3)</sup> انظر: محمد حسن عبد الله ،الصورة والبناء الفني 33، دار المعارف ،القاهرة ، الطبعة الأولى 1981م.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

باكتسابها طابع البناء الدرامي الحي من خلال عنصري التشخيص والحوار،<sup>(1)</sup> والإثارة والتذكر والاستجماع لمكنون المشاعر الإنسانية المترسبة في الأعماق " (2) ، فبعدما تساءل بقوله:

من هؤلاء الضائعون؟... أفهؤلاء المسلمون؟!

نجده يرد على نفسه في حوار مع الذات فيقول:

أبدأ... تكذِّبني، وترجمني الحقائق والظنون!

أبدأ... وكيف؟ وفي يمينهم كتاب لا يهون؟!

أبدأ... وكيف؟... ودون سطوته وتنتحر القرون؟!

ويبيد طغيان العتاة، ويهلك المتجبرون؟!

ويخر بين يديه من وهج الضياء الغاشمون؟!

وما يدهش المتلقي أثناء قراءة النص أننا وجدنا الشاعر قد أسرف على نفسه في تصوير أحاسيسه<sup>(3)</sup> وأحزانه حتى بدت صورته تقطر دمعاً ودماً؛ إيماناً منه بأن الشعر إنما هو في الدرجة الأولى تعبير عن اللحظات الأقوى المليئة بالطاقة الشعورية، أو الانفعال الشعوري،<sup>(4)</sup> أو الصدق الذي يعبر عنه الشعراء " بكل حواسهم في وقت كانت فيه كل مداركهم وأحاسيسهم وعواطفهم مجنونة للعمل ".<sup>(5)</sup> فإذا كان المجتمع ممزقاً ونفس الشاعر متألمة؛ فإن النسيج الشعري لا يراوح ألفاظ الحزن والسواد والمآتم والأسى والبكاء،<sup>(6)</sup> حيث قال في هذه القصيدة:

والليل ينفض فوقهم من يأسه قلق النجوم

أبكي عليهم... أم على قيد يكبني شديد!

حتى بدت الطبيعة في القصيدة على غير المؤلف كئيبة تحن إلى مباحها وزينتها وأنوارها، مثل حنينه إلى الحرية، فالشاعر قد زواج بين الظلام والظلم في هذه القصيدة وكثير من قصائده

<sup>1</sup> انظر: شفيح السيد، شاعرية محمود حسن إسماعيل 147.

<sup>2</sup> الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر 35

<sup>3</sup> انظر: مصطفى عبد اللطيف السحرتي، دراسات نقدية 60، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى 1973م.

<sup>4</sup> انظر: سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه 56.

<sup>5</sup> س . م . بورا، التجربة الخلاقة 10.

<sup>6</sup> انظر: شفيح السيد، شاعرية محمود حسن إسماعيل 134.

#### د . عبد الرحيم الهبيل

بعد ذلك؛ لأنه "ومن خلال ذلك الازدواج امتص الشاعر صفة من الطبيعة ثم اسندها إلى الإنسان؛ تمهيدا للاختفاء التدريجي للطبيعة من بؤرة الصورة وإحلال الإنسان محلها".<sup>(1)</sup>

والإسراف في استخدام الصور الفنية بارز في القصيدة لكن الصورة فيها لا تنصب على الأنا فقط، وإنما على المجتمع المسلم وعلى الحكام الظالمين أيضا، على الرغم من أن ذلك الإسراف يفضي حيناً إلى شيء من التكرار، وحيناً آخر إلى شيء من التمثل، وأحيانا أخرى يكون لا بد منه، لذا فإن الصورة تبقى أفدر على التمييز والتأثير من الكلمات المجردة التي تحتل مكانها"<sup>(2)</sup> فبعدها يصور آلام المسلمين في المقطوعة الأولى بقوله:

ويسوقهم زُمراً إلى حفر مَوْلولةِ الرُّجومِ  
السَّوْطِ يُرْفَلُ حَوْلَهَا والموتُ أَنَسْرُهُ تحومُ  
والقيدُ يَخْصِفُ من صدو رِهِمُ المذَلَّةِ والهجومِ  
ويسومُهُم من عَسْفِهِ ونظَاهُ أَبشَعُ ما يسومُ

كما وجدناه مرة أخرى يعمق آثار عذاباتهم ببيان متع المعذبين وإظهار نشوتهم، حيث اتخذ من التضاد سبيلاً في إبراز الألم وتعميقه، حيث قال:

الشَّارِبُونَ الدَّمْعَ ممن في المجازِرِ يصرخونُ  
السَّائِقُونَ الخلقَ كَا لِقُطْعَانِ ساجدةِ العيونِ

وليس معنى ذلك أن صور الشعر عنده ترتبط دوماً بالتضاد؛ لأنه لجأ إلى " حشد كثير من المترادفات أو الألفاظ المتقاربة المعاني لتكون وسيلة إلى خلق شعور نفسي عام غير مقيد بمدلول منطقي واضح"،<sup>(3)</sup> فعلى سبيل المثال هناك كثير من الألفاظ التي تصور حال المسلمين التائهين:

الخابطون التخوم؟ أعشى رَهَجٌ .. يسوقهم والليل قلق النجوم  
الرُّجومُ يَخْصِفُ عسف - غشوم - الضائعون - والظنون! ويهلك!؟  
الشَّارِبُونَ الدَّمْعَ - ساجدةِ العيون - تجهلُ ما يكونُ  
بلهاء - الخانعون - طَحَنَتَهُ غمغمةُ العبيد - بأنينِ أُمَّتِهِ  
أبكي عليهم - إنا هجرنا الله - الهالكون - الصَّاغرونُ  
مبهورة، منهورة

<sup>1</sup> أحمد درويش، في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة 41-42، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.

<sup>2</sup> س . م . بورا، التجربة الخلاقة 12 .

<sup>3</sup> عبد القادر القط، في الأدب العربي الحديث 85، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الأولى 1978م.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

ولا ترتبط صورته كذلك بالمجاز أو تتجاوزته بالخيال، فأحيانا تبرز بعض الصور من عبارات حقيقية الاستعمال ، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب مثل قوله:

فإذا غفوا .. فعلى موا طئ كل جلاذ غشوم

ولا تقتصر عناية الشاعر على الصور الحسية التي عاشها فقط ، وإنما برزت عنايته أيضا ببعض الأفكار المجردة من أجل استنهاض الهمم فحين قال عن الموت:

والموت أنسره تحوم

ثم صور كيفية الموت:

ربضت به الأصفاد... بل طحنته غمغمة العبيد

ثم أكد على انتهائ الميـت بقولـه:

وإذا الجنـازة لوعاة حـرى مشيـعها سـعيد

حيث بين أن الحياة التي تفتقر إلى الكرامة و الحرية و الحركة ، تتشابه مع نقيضها الموت، فالموت والحياة لفظان يحملان دلالة واحدة في القصيدة هي دلالة العدمية.<sup>(1)</sup> فالشاعر انتقل من المجرد (الموت) إلى المجرد (العدم) عبر المحسوسات لتصبح الأشياء الفنية لا تمت بصلة إلى الأشياء الطبيعية للبحث عن المطلق.<sup>(2)</sup> ولعل مثل ذلك الصور هو ما دفع بالدكتور جابر قميحة إلى القول عنه: " ينطق بالعمق، والاستغرافات الصوفية البعيدة الحادة، والقدرة العجيبة على تركيب غرائب الصور، وتوليد الخيال في طرفاة لم أجد لها مثيلاً في العربية - في حدود ما قرأت".<sup>(3)</sup>

والصورة عنده ترتبط بالرمز كثيرا، بل ربما كان " الإيحاء والرمز من أهم خصائص شاعرنا"<sup>(4)</sup> ومن الرموز التي ترددت في شعره كثيرا رموز الكوخ و الظلام والليل إذ من طبيعة رموزه أنها تتشابهك وتتداخل بشكل يتعذر الفصل بينها سواء أكان على مستوى الطبيعة أم المصدر،<sup>(5)</sup> كما أن من طبيعتها أن نجد ما يرفدها من ألفاظ تضييء معالمها وتقربها من النفس، فرمز الظلام لا ينفك عن الليل، وكل ما ذكر من ألوان العذاب في النص يرتبط بالظلام فمن الألفاظ التي جاءت صريحة في خدمة هذا الرمز: أعشى، النجوم، المظلومون، ذهب الرقاد، السود، السواد، روعها

<sup>1</sup> (انظر:مدحت الجيار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي 72،دار المعارف ، الطبعة الثانية 1995م.

<sup>2</sup> ( انظر:حسن محمد حسن ، الأصول الجمالية للفن الحديث 227،دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ط).

<sup>3</sup> ( محمود حسن إسماعيل وقفة نقدية مع شعره وفلسفياته، موقع رابطة أدباء الشام.

<sup>4</sup> ( عبد القادر القط ،في الأدب العربي الحديث 85 .

<sup>5</sup> (انظر:مصطفى السعدني ، التصوير الفني 145 .

#### د . عبد الرحيم الهبيل

الصدى، ويصيح. ومن الأبعاد النفسية للظلام ارتباطه بالرعب والخوف لأنه يرتبط بالمجهول، وهو مرتبط بالألم، والألم مرتبط بالظلم والطغيان، ومن ثم بالعذاب والضياع، كما أن الظلام مرتبط بالقيعان والعمق و العمق مرتبط بهدم الحياة، ولا يبتعد الظلام عن معني القمم، ومن ثم فالرمز هناك يرتبط بالانخفاض والعلو، والهزيمة والانتصار.<sup>(1)</sup> فالرمز بين يديه ينمو تدريجيا حتى يصبح قادرا على الوفاء بمعان النص كله بما يحتويه من متناقضات، بل إن معاني الرمز لا تنتهي بانتهاء النص بل تتعلق بالقصائد الأخرى؛ فتزداد دلالاته من خلال ارتباطه بالأشياء.

وأخيراً: فقد ظلت القصيدة تبحث في الأشكال والانسجام مع العالم الخارجي، دون أن تقع في إطار أدبي محدد، فالشاعر كان يضيق بأن ينسبه أحد إلى الرومانسية على الرغم من أنه ولد في عصر الرومانسية وواكب شعراءها،<sup>(2)</sup>؛ لاعتقاده أنه اتجه إلى الواقعية منذ ديوانه الأول - أغاني الكوخ،<sup>(3)</sup> والحق أن الشاعر استطاع بثقافته وقدراته اللغوية وعبقريته أن يجمع بين كثير من الاتجاهات الأدبية ليس على سبيل اضطراب الرؤية الشعرية<sup>(4)</sup>، وإنما على سبيل حسن الاختيار والبراعة في التوظيف؛ فقد تأثر بالواقعية حين سلط الأضواء على الفساد والشر والجريمة في المجتمع،<sup>(5)</sup>؛ ليشعل الثورة ضد الطغاة والفاستين .

لم يقف تأثر الشاعر عند هذا الحد بل انه تأثر بالبرناسية والتجريدية حينما جعل الأدب كالحقائق الرياضية وعمد إلى تجريد الأفكار عبر أشكال هندسية وأرقام حسابية، و اعتنى بجانب الصياغة اللفظية والبناء الإيقاعي والصور الفنية واتخذ من الفن غاية في ذاته،<sup>(6)</sup>دون أن يفرط بالمعنى، بل خدمة له و لقضايا الحياة الاجتماعية والسياسية. وحين اتخذ من الطبيعة خلفية حياة في أعماله وجدنا أنها تنبض بأحاسيسه ومشاعره حتى أحالها إلى أناس تبادلها الأحاسيس والمشاعر<sup>(7)</sup> فهو لم ينكر بأن الأدب وسيلة للتعبير عن الذات بل جعل اللغة الشعرية وسيلة إحياء توحى بالخواطر والمشاعر والأحاسيس والرؤى والأحلام والحالات النفسية، فالشاعر كان يمتلك ثقافة تراثية

<sup>1</sup> ( انظر: المرجع نفسه 163-164.

<sup>2</sup> ( انظر: عبد القادر القط ،في الأدب العربي الحديث 82 -84 .

<sup>3</sup> ( انظر: المرجع نفسه 82 .

<sup>4</sup> ( انظر: محمد مندور، الميزان الجديد 99 دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة 1977.

<sup>5</sup> ( انظر: محمد مندور ، في الأدب والنقد 90-91، دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون (ط. ت).

<sup>6</sup> ( محمد عزيز نظمي سالم ، القيم الجمالية 127.

<sup>7</sup> ( مصطفى السعدني ، التصوير الفني 70 .

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

مكنته من التجديد في اللغة والصورة.<sup>(1)</sup> وقد ساعدته تلك الثقافة على أن ينظر للحياة نظرة شمولية تعزز الإيمان بعالم الغيب، وتؤكد أن الإنسان جسد وروح، وأن العلاقة بين الواقع والمثالي علاقة وثيقة ومتبادلة حيث تتجلى المثالية في حركية التغيير نحو الأفضل.<sup>(2)</sup>

فهل لنا بعد ذلك أن نقيد الشاعر باتجاه فني واحد؟ أو أن نأخذ برأي الدكتور محمد مندور حين قال: بأن محمود حسن إسماعيل " لا يرى الأشياء رؤية شعرية صحيحة... ولو أنه حرص على الرؤية الشعرية الصادقة لرأيت التجانس الذي يعوزه"<sup>(3)</sup>؛ لأن ثقافة الشاعر وأصالته إنتاجه وتميزه في التصوير والصياغة وثورة عاطفته في كل نص جعل من كل قصيدة عالما خاصا من السحر والجمال، فصدق الشاعر وقوة عاطفته وعنايته بالخفي كعنايته بالظاهر، لا تمكن القارئ من رؤية التجانس والانسجام بيسر وسهولة سواء أكان على مستوى النص أم النصوص، بل انه يحتاج إلى التأمل والتأني؛ للوقوف على غايات النص وعلاقاته، ولعل المواجهات الجزئية للدكتور محمد مندور هي ما دفعته لتلك المواقف، وما يؤيد هذا الرأي أن (السحرتي) كان له موقف آخر حينما وقف على ديوانه (قاب قوسين) 1964م: إذ قال عن ذلك الديوان: "هو صورة تكاد تكون متكاملة لاتجاهاته الشعرية".<sup>(4)</sup> أما الدكتور أنس داود فقد ذهب في مقال عن الشاعر إلى أنه أعطى انجازا حقيقيا ورائعا في إطار الشعر حتى 1975م، ولكن بعد ذلك أخذ يعيد ويكرر الخصائص الثانوية في شاعريته.<sup>(5)</sup>

أما التجانس الذي افتقر إليه شاعرنا على حد قول الدكتور مندور<sup>(6)</sup> فلم يكن بوفرة بين أجزاء القصيدة فقط، وإنما على مستوى كل إنتاجه الشعري أيضا، لقدرات الشاعر على التأليف بين المعاني والألفاظ والصور والقوافي، ولتوجهاته الصوفية التي تبدت بتوحده مع الطبيعة والمجتمع، على الرغم من أن القصيدة عرفت النور عام 1952م، ولرغبته في تأسيس رموزه الشعرية؛ لذلك جاءت بعض عناوين قصائده منذ الديوان الخامس متناسبة ومنسجمة مع معانيه التي أنبتها في قصيدتنا ، فعلى سبيل المثال: وجدنا في ديوانه الخامس القصائد التالية: قصة ظلام، قصة القيد، الجلاد الكاذب، أرجوحة الظلم، عهد الذئاب، فجر الحرية، يوم الخلاص ، وفي الديوان السادس،

<sup>1</sup> ( عبد القادر القط ، في الأدب العربي الحديث 84 .

<sup>2</sup> ( عماد الدين خليل ، في النقد الإسلامي المعاصر 145، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثالثة 1984م.

<sup>3</sup> (محمد مندور ، في الميزان الجديد 94 .

<sup>4</sup> (مصطفى عبد اللطيف السحرتي ،دراسات نقدية 63 .

<sup>5</sup> (القاهرة ، العدد 13، ابريل 1985م.

<sup>6</sup> ( في الميزان الجديد 94 .

## د. عبد الرحيم الهبيل

كتب القصائد التالية: جنازة الرق، العودة إلى الله، والنفس والخطيئة، وفي الديوان السابع كتب التائه، فقراء، أما الديوان الثامن فجاء باسم (التائهون) ثم توالى دواوينه فكتب القصائد التالية: أحرار الجنوب، مآتم الطبيعة، الله، الأمل، أهواك يا وطني، موسيقا من الضياع، موسيقا من الشهداء، موسيقا من التكرار، وموسيقا من الوحدة. فهل الشاعر بعد ذلك أتى بالمتتافر؟ أم أنه دار في فلك واحد يكاد يكون التكرار فيه سمة أساسية لمبدع عبقرى رسم معالم شعره منذ بداية الطريق؟.

### نتائج البحث:

- لم يبتعد الشاعر عن الطبيعة في شعره، بل توحد معها وذابت الحدود بينهما، وهي في كل نص، بل في كل مقطع تنطق بمشاعره ومعاناته.
- على الرغم من محاولة هروب الشاعر من الاتجاه الرومانسي، فإن فيض عواطفه يأخذ به نحو شواطئها، لكنه يبقى أقرب إلى الواقعية.
- للتكرار قيم جمالية و فنية ونفسية؛ فهو يعمق المأساة في القصيدة، ويعمل على تفريغ الهموم والأحزان، ويثرى معاني النص ويؤكد لها، ويزيد في ترابط القصيدة ووحدها.
- تعدد الصور وتكاثرها في النص يبرز عاطفة الشاعر الثائرة، ويعمل على توسيع دائرة المعاني.
- ليس الرمز في شعره إلا رمزا لاشعوريا تكتشفه القراءة، عندما تتابع التفكير الباطني للنص، إذ تشكل الرمز من مفردات كانت تلازمه في طفولته القروية، وظلت تلازمه في قصائده الشعرية.
- اعتمد في بناء القصيدة على الجمع بين المتباينات(حركة الشخصيات المتناقضة في أفعالها، والأزمنة بأبعادها الثلاثة، والخفي مع الظاهر، والمثالي مع الواقع، والسلطة مع المجتمع)؛ مما زاد من فاعلية النص وحركته.
- ضبابية المفردات وتوالي الصور، وتجاوب الأنغام الموسيقية في القصيدة، أضفت أجواء من الصوفية على النص، لكن التصوف عنده حالة تستبطن أسرار النفس وتكشف ما يكمن فيها من قوة.
- ثورة الشاعر العاطفية و فيض معانيه لم تبعده عن التأمل واستشراف المستقبل، كما أنها لم تأخذه نحو المتتافرات؛ لتشابه المعاني في شعره، بل إن المعنى الواحد يصادفنا بأشكال وصور عدة، سواء أكان في القصيدة الواحدة أم عبر دواوين.

## قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

هوامش البحث:

أولا: المراجع العربية:

- 1- أحمد الجدع، أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر، دار الضياء، عمان، الطبعة الأولى 2003م.
- 2- أحمد درويش، في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.
- 3- أحمد العلوانة، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين 206 الطبعة الأولى 1998م، دار المنارة.
- 4- الأعمال الكاملة للشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل المجلد 1-3 الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى 2004م .
- 5- الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل، المجلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية 2008م.
- 6- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، 1983م.
- 7- حسن محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط).
- 8- س.م.بوراء، التجربة الخلاقة، ترجمة سلافة حجاوي، فلسطين، الطبعة الثالثة 2000م.
- 9- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة 1983م.
- 10- صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى 1985م.
- 11- عبد القادر القط، في الأدب العربي الحديث، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الأولى 1978م.
- 12- عبد الله حسن زروق، أصول التصوف 77، دار جامعة أم درمان، الإسلامية للنشر الخرطوم، 1993.
- 13- عبد الله الغدامي، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1994م.
- 14- عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.
- 15- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية 238، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة بدون (ت).

#### د. عبد الرحيم الهبيل

- 16- عماد الدين خليل ، في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثالثة 1984م.
- 17- عمران خضير حميد الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى 1982م.
- 18- فاروق شوشة، أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية 1979م.
- 19- مدحت الجيار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، دار المعارف، الطبعة الثانية 1995م.
- 20- محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1981م.
- 21- محمد عزيز نظمي سالم، القيم الجمالية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1984م.
- 22- محمد مندور، في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون (د.ت).
- 23- محمد مندور، في الميزان الجديد، نهضة مصر، القاهرة، 1977م.
- 24- مصطفى السعدني ، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ت).
- 25- مصطفى عبد اللطيف السحرتي ،دراسات نقدية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، الطبعة الأولى 1973م.
- 26- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر،دار العلم للملايين،بيروت، الطبعة السابعة 1983م.

#### ثانياً - الدوريات:

- 1- الأزهر، العدد الثاني، السنة، ابريل 2003م.
- 2- علامات في النقد الأدبي، ، نادي جدة الأدبي الثقافي ، جدة ، مارس 1993م.
- 3- فصول ،المجلد الأول ، العدد الرابع ، يوليو 1981م .
- 4- فكر وإبداع ، ، العدد17، يناير2003.
- 5- القاهرة،العدد 13،ابريل 1985م.
- 6- المسلمون ، العدد الأول عام 1951م .

قراءة نقدية في قصيدة " المسلمون " للشاعر محمود حسن إسماعيل

ثالثاً: المواقع الإلكترونية :

- 1- <http://www.ofouq.com/today/index.php>
- 2- <http://www.odabasham.net/show.php>

2- نص القصيدة:

المسلمون

من هؤلاء التائهون؟ الخابطون على التخوم؟!  
أعشى خطا أبحارهم رهج الزوابع والغيوم؟  
والليل ينفص فوقهم... من يأسه قلق النجوم  
ويسوقهم زمراً إلى حفر مولودة الرجوم  
السوط يرقل حولها... والموت أنسرته تحوم  
والقييد يخصف من صدورهم المذلة والهموم  
ويسومهم من عسقه ولظاه أبعث ما يسوم  
فإذا غفوا؛ فعلى مواطئ كل جبار غشوم  
وإذا صحو؛ فعلى خطا للذل خاشعة الرؤوم  
من هؤلاء الضائعون؟.. أفهؤلاء المسلمون؟!  
أبداً. تكذبي، وترجمني الحقائق والظنون!

\*\*\*\*\*

أبداً... وكيف؟ وفي يميني يمينهم كتاب لا يهون؟!  
أبداً... وكيف؟... ودون سطوته وتنتحر القرون؟!  
ويبيد طغيان العتاة، ويهلك المتجبرون؟!  
ويخرب بين يديه من وهج الضياء الغاشمون؟  
الفاسدون، المفسدون الظالمون، المظلمون  
الشاربون الدمع ممن في المجازر يصرخون  
السائقون الخلق كالفطمان ساجدة العيون  
مبهورة، منهورة بالسوط، تجهل ما يكون  
بلهاء، روعها الصدى واجتاح قينتها الجنون  
وأحالتها عدماً يكبر للردى.. لو تسمعون!

## د. عبد الرحيم الهبيل

مَنْ هُوَ الْوَلَاءُ الْخَائِعُونَ أَفَهُوَ الْوَلَاءُ الْمُسْلِمُونَ؟!  
أبدا!! تُكذِّبُنِي، وترجمني الحقائقُ والظنونُ ...

\*\*\*\*\*

أنا منهم ... لكنني نغى نغمٌ بساحتهم شريدٌ  
ربضت به الأصفادُ ... بل طحنته غمغمة العبيد  
وجوار شرق مبدىء بآنين أمته معيد  
أبكي عليهم ...؟ أم على قبيد يكبانى شديدا؟!  
إننا هجرنا الله ... هجرتنا للشيطان مريد  
عات تروضنا حصارته لكل هوى مؤيد  
ولكل من يحيى لنا الإسلام في كفن جديد ..  
نسجته أخيلة العصور السود منذ زمن بعيد  
لتحيل دين محمدٍ وهماء على نعش مجيد  
وإذا الجنازة لوعة حرى مشيعها سعيد  
مَنْ هُوَ الْوَلَاءُ الْهَالِكُونَ أَفَهُوَ الْوَلَاءُ الْمُسْلِمُونَ؟!  
أبدا!! تُكذِّبُنِي، وترجمني الحقائقُ والظنونُ ..

\*\*\*\*\*

من كان للإسلام، فليضرب بمعوليه الفساد  
فيصيح باللص العتيء : كفاك من شبع وزاد  
ويصيح بالفاسق : إيأكم وأعراض العباد  
ويصيح بالطاغين : أسرفتكم، لكل مدى نفاذ  
ويصيح بالباغين : ويحككم، لقد ذهب الرقاد  
ويصيح بالغاوين : ويلكم، إذا حان الحصاد  
وظواكم حد المناجل بين أزرعه الشداد  
ونظرتكم ... فإذا الظلام عليكم حيق السود  
ريح مولودة الصفير كأختها في يوم 'عاد'  
تسقيكم من ويلها وخرابها حمم الرشاد!  
مَنْ هُوَ الْوَلَاءُ الصَّاغِرُونَ؟ أَفَهُوَ الْوَلَاءُ الْمُسْلِمُونَ؟!  
التائبون ... العابدون ... الراكعون ... الساجدون؟